بناء امبريالية جديدة : اسرائيل والضفة الغربية

شيلا ريان

بعد أن ضاعفت حرب حزيران عام ١٩٦٧ المساحة التي تخضع لسيطرة اسرائيل اكثر من ثلاث مرات ، حصل نقاش في اوساط الطبقة الحاكمة الاسرائيلية حول كيفية التصرف بالمناطق المحتلة حديثا . فبالنسبة للبعض ، مثل الوزير بنحاس سابير ، كانت الاراضي المحتلة تشكل حصان طروادة يضم مليون عربي هدفهم « تدنيس » يهودية دولة اسرائيل وحضارتها . واذا حاولت اسرائيل ابتلاع المناطق الجديدة فانها ستختنق . وبالمقابل ، فان انسحاب اسرائيل من المناطق المحتلة ذات الكثافة السكانية العربية الكبيرة لا يعني تنازلها عن اي شيء ، بل يعني « تحررها من عبء » كما تقول جماعة « اسرائيل الصغيرة »(١) .

ويتفق هذا الرأي تماما مع الاستعمار الاستيطاني الغريب في نوعه الذي بنيت دولة اسرائيل على اساسه . فبعكس المستعمرين الفرنسيين في الجزائر والبريطانيين في روديسيا — الذين استولوا على مساحات شاسعة من الاراضي واعتمدوا على العمال الوطنيين الذين يشتغلون بأجور زهيدة من أجل جعل زراعتهم مربحة — قام الصهاينة بتمويل محصولهم الزراعي ، على أرض معزولة عن الفلاحين الفلسطينيين ، من التبرعات الصهيونية الضخمة من الخارج . وقاموا أيضا بتشغيل العمال الزراعيين اليهود وطرد معظم العمال الفلسطينيين عام ١٩٤٨ . وتذكرت جماعة « اسرائيل الصغيرة » ايام حملات « العمل العبري » ، اثناء الانتداب البريطاني ، عندما جرت مقاطعة اليد العاملة العربية من أجل بناء (وحماية الوضع الجيد) للطبقة العاملة اليهودية .

وكان هذا النوع من الاستعمار فعالا جدا ، لسوء الحظ ، من حيث تمكين المستوطنين من غرس جذور عميقة وتثبيت أنفسهم بمتانة في فلسطين . ومنذ انشاء اسرائيل ، اعتمد الصهاينة على المساعدة العسكرية الاميركية والغربية الاخرى من أجل المحافظة على ابقاء اسرائيل دولة يهودية بحتة .

ولكن انتصار اسرائيل عام ١٩٦٧ شكل بداية النهاية بالنسبة لسيطرة هذا النوع من الصهيونية ، ووضع أساس نوع جديد من الامبريالية الذي حدده ابا ايبان بقوله ان اسرائيل ترغب في ان تكون علاقتها بالدول العربية كعلاقة الولايات المتحدة بأميركا اللاتينية(٢) .

ومنذ نشوء اسرائيل ، قامت الدول المجاورة بعزلها تجاريا ضمن اطار المقاطعة العربية التي شكلت قيدا قاسيا على الاقتصاد الاسرائيلي . وكما اشارت دراسة حديثة لمؤسسة راند « ان الاسواق الاكثر طبيعية لاسرائيل هي الدول العربية » ، ولكن اسرائيل أجبرت